جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت
قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

الدراسات الأولية الصباحية والمسائية

المرحلة الثانية

صباحي شعبة ج ، والمسائي

محاضرات في :

علم التفسير

د. نور سعد حمود

للعام الدراسي ٢٠٢٣ / ٢٠٢٤م

١٤٤٥هـ ٢٠٢٤م

المحاضرة الثامنة :

مدارس التفسير (مدرسة التفسير بالاثر)

*مدرسة التفسير بالاثر:

الاثر: (هو ما روي عن الرسولﷺ وما روي عن الصحابة أو عن التابعين ، موقوفاً عليهم أو مرفوعاً وهذا عند اهل الحديث ومنهم من يجعله مرادفاً للحديث فيقصره على ما روي عن الرسولﷺ)[١].

أما التفسير بالأثر : فقد اصطلح عليه اهل التفسير بأنه ما روي عن الرسولﷺ أو عن الصحابة أو عن التابعين من تفسير لآيات الله او اي نص قرآني أو لفظ [٢].

ومدرسة التفسير بالأثر هي اول مدارس التفسير ظهوراً لأن الرسولﷺ كان يفسر ما اشكل على الصحابة فهمه من القرآن الكريم ولما كان الصحابة قد عايشوا الرسولﷺ وحضروا نزول الوحي استغنوا عن كثير مما احتاج اليه غيرهم لفعم القرآن الكريم فكان ما فسره الرسولﷺ قليلاً جداً[٣].

*موارد مدرسة التفسير بالأثر:

١. تفسير القرآن الكريم بالقرآن: لقد ورد في القرآن الكريم آيات مجملة ثم فصلت في موضوع آخر كما نزلت آيات مبهمة ففسرت في موضوع ثان في القرآن الكرين آيات يستدل على تفسيرها بنظائرها في مواضيع اخرى مثلا قال تعالى﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ ﴾ [النساء: ١١] استدل بعض العلماء على كون البنتين اذا انفردتا بالميراث فلهن ثلثا التركة وحسبوهما من ضمن النساء فيقوله تعالى:﴿ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ ﴾ [النساء: ١١] استدلوا على ذلك بقوله ﴿ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴾ [الأنفال: ١٢] بان الله عبر عن الاعناق وما فوقها بقوله فوق الاعناق.

كما ان اغلب قصص القرآن مجملاً في موضوع مفصلاً في موضوع آخر ، فمثلاً قصة موسىعليه السلام تقرأها في سورة النازعات على الشكل التالي ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ

---

[١] نزهة النظر ،شرح نخبة الفكر، لابن حجر، ٢٢٨.

[٢] التفسير والمفسرون ، ١٥٢ بتصرف.

[٣] مناهج المفسرين ، الدكتور محي هلال السرحان ،٣٣.

﴿ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النازعات: ١٥ – ٢٥] ، ثم فصل القصة في سورة القصص قال تعالى﴿ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ .....الى قوله تعالى﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [القصص: ٣ – ٤٤].

ويرى قسم من العلماء ان ما في القرآن لا يعتبر تفسيراً ولا يعتبر القرآن مما يستمد من التفسير ، ومنهم من قال: انه ليس من التفسير ولا يعتبر مما يستمد منه التفسير ،حكى هذا القول عن محمد الطاهر بن عاشور ، لان ذلك من قبيل حمل الكلام على بعض كتخصيص لعموم او تقييد لمطلق وبيان المجمل وتأويل الظاهر .

ذكر ابن هشام في مغني اللبيب عن ابي علي الفارسي، ان القرآن كله كالسورة الواحدة ولهذا يذكر الشيء في سورة وتمامه في سورة اخرى نحو﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الحجر: ٦] ، وجوابه﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ [القلم: ٢].

ومع وجاهة هذا الرأي فان القرآن الكريم يفهم جملة واحدة او يستطيع قارئه ان يستتير ببعضه على البعض الاخر.

٢. السنة النبوية المطهرة:

وهذا الركن هو المهم الذي لا يقوم التفسير باي شكل من الاشكال بدونه ، وذلك لان الرسول ﷺ هو حلقة الوصل الوحيدة بين الله سبحانه وتعالى والناس كما ان القرآن هو معجزته ودستوره ، وقد كلفه الله سبحانه وتعالى بتبليغه للناس قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٧]، فكان رسول الله ﷺ يبلغ القرآن للناس ساعة نزوله حتى يصل الى اقصاهم.

كان القرآن ينزل قصص وعبر واحكام ونظم فكان الصحابة رضي الله عنهم يفهمون القصص ولا يصعب عليهم فهمها لان القرآن نزل بلغتهم وعلى اساليب كلامهم تركيباً وافراداً ، لكن القرآن يحتوي على غير اللغة العربية السائدة وهي لغة قريش وان قل ، من مفردات في لغات العرب الاخرى فالعرب يفهمونه جملة لأن لغة قريش ملتقى اللغات حيث انها لغة اهل البيت الذي يحج اليه العرب جميعاً ، ولكن قد يخفي على قسم من افراد القبائل بعض المفردات التي ليست بلغتهم أو قليلة الاستعمال في لغة قريش فيشرحها الرسولﷺ لهم اذا سألوه ، اما الاحكام فكان ﷺ يفسر ماجاء في القرآن الكريم تفسيراً علمياً لان الصحابة لم تكن لديهم بها معرفة قبل الاسلام ، فمثلا الصلاة لم تكن معروفة عندهم وكذلك الزكاة والصيام والحج وكل العبادات التي تتطلب اعمالا معينة.

وهذ التفسير ملازم للقرآن ولا يستغنى عنه فقد قال ﷺ : (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ألا يوشك رجل ينثني شبعانا على أريكته يقول عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السباع ألا، ولا لقطة من مال معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروهم فإن لم يقروهم فلهم أن يعقبوهم بمثل قراهم) [٤].قال: عبد الرحمن بن مهدي: (الرجل إلى الحديث أحوج منه إلى الأكل والشرب ، وقال: الحديث تفسير القرآن) [٥].

---

(٤) مسند أحمد ط المكنز (٦/ ١٥٩٦).

(٥)الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ص: ١٦)

وحاصل القول ان الرسولﷺ فسر ما احتاج اليه المسلمون من القرآن الكريم وما فهمه المسلمون لم يتعرض له الرسولﷺ الا اذا شعر انهم ربما فهموه على غير مراد الله سبحانه وتعالى[٦].

٣. * تفسير الصحابة الكرام رضي الله عنهم:

الصحابي :هو الذي شاهد الرسولﷺ وهو مسلم ومات على الإسلام.

الصحابة الكرام رضي الله عنهم هم الذين اختارهم الله سبحانه وتعالى لمجلس رسولهﷺ ولحمل رسالته وتبليغ شريعته ولذلك اصطفاهم فقد كانوا نموذجاً فريداً تقتدى به الانسانية وتسير على هداه الى يوم الدين، قال تعالى﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ ﴾ [الفتح: ٢٩]،عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة في قوله عز وجل ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ ﴾ [سبأ: ٦] ، قال: (أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم)[٧]، (عن ابن المسيب، أنه سئل عن شيء، فقال: «اختلف فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا رأى لي معهم» قال ابن وضاح: هذا هو الحق. قال أبو عمر: معناه أنه ليس له أن يأتي بقول يخالفهم جميعا به)[٨].

هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم اعلم الناس بالقرآن الكريم بعد رسول اللهﷺ لأنهم شاهدوا نزول الوحي وعلموا ظروف النصوص القرآنية ، اضف الى ذلك ان القرآن الكريم نزل على لغتهم وعالج احوالهم، لذا فان احسن الناس علما بتفسير القرآن الكريم هم الصحابة على تفاوت بينهم ، هذه حالهم من الناحية العلمية التي تحتمل النظر والرأي منهم ومن غيرهم لكن هناك ظروف احاطت بالنص القرآني لا سبيل اليها بالعقل او النظر فلابد من النقل فيها كأسباب النزول وترتيب السور.

مثال ذلك قوله تعالى﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا ﴾ [المائدة: ٣٨].

فلا يستطيع احد ان يتوصل باعمال الفكر الى أي اليدين تقطع وخل يستطيع ان يعلم مقدار المال الذي تقطع من اجل سرقته اليد.

---

(٦)مناهج المفسرين ص ٤٠.

(٧)جامع بيان العلم وفضله (١/ ٧٦٩).

(٨)جامع بيان العلم وفضله (١/ ٧٦٩).

ولما كان من المستحيل التوصل بطريق الاستنتاج الى ذلك فان جاء عن الصحابيﷺ فيه شيء وان لم يقل فيه رسول الله ﷺ فانه يأخذ حكم المرفوع .

جميع ما ذكرنا لا يمكن ان يستغنى فيها المفسر للقرآن الكريم عن الصحابة الكرام رضي الله عنهم فأن جاء عنهم فيها شيء وان لم ينسبوه الى الرسول ﷺ فهو واجب الاخذ به على كل حال .

على ان قسم من العلماء يرى ان قول الصحابيﷺ واجب الاخذ به حتى في المسائل التي يمكن الاجتهاد فيها، ولا خلاف بين العلماء في الاخذ عنهم في المسائل التي ا ليس فيها مجال للاجتهاد .

ولابد من القول ان الصحابة على راي جميع علماء المسلمين عدول ثابتة عدالتهم بالكتاب والسنة والاجماع فمن روى عنهم شيئاً فلا يسأل عن عدالة روايته انما يصدق من غير نظر

٤. ***التابعين بإحسان:**

يعتبر اصحاب مدرسة التفسير بالأثر نتاج التابعين من قبيل التفسير بالمأثور او الأثر. قال الشيخ الذهبي(يشمل التفسير المأثور ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نُقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وما نُقِل عن الصحابة رضوان الله عليهم، وما نُقِل عن التابعين، من كل ما هو بيان وتوضح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم) [٩] .

والواقع ان ما جاء عن ثقات التابعين من القضايا التي ليس فيها مجال للاجتهاد كأسباب النزول والنسخ وغيرها فان راي الثقة يؤخذ به على انه اخذه من الصحابة باعتباره ثقة فلا يمكن ان يكذبه عليهم ، اما ما كان فيه مجال للاجتهاد والرأي فاغلب العلماء على انه رأي قابل للخطأ والصواب وانما يستأنس به وهذا هو الرأي الراجح .

---

(٩) التفسير والمفسرون (١/ ١١٢).

***حجج اصحاب مدرسة الأثر:**

١. ان الله سبحانه وتعالى قال ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، قالوا بان الله سبحانه وتعالى أمر الرسولﷺ بالبيان فليس على غيره البيان فلا يجوز لأحد غير الرسولﷺ ان يبين ويفسر القرآن.

٢. قالوا ان التفسير هو بيان على ان مراد الله سبحانه وتعالى، ولا يعرف مراد الله سبحانه وتعالى الا من اطلعه الله عليه وهو الرسولﷺ.

٣. قالوا ان الله سبحانه وتعالى قال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧] ،وحاشا ان يكون الرسولﷺ قد قصر في تبليغ الرسالة.

٤. وبناء على الفقرة السابقة فان الرسولﷺ قد فسر القرآن كله وليس لأحد ان يخالف قول الرسولﷺ في التفسير فيجب التحري عن اقوال الرسولﷺ ومعرفتها في هذا الشأن.

٥. روى ابو عبد الرحمن السلمي قال: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود وغيرهما انهم كانوا اذا تعلموا من رسول الله(ﷺ)عشر آيات لم يجاوزوهما حتى يتعلموا ما فيهما من العلم والعمل فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً.

٦. انه من غير المألوف ان جماعة يأتيهم كتاب في علم من العلوم ولا يدرسونه ويعرفوا معناه فكيف بكتاب الله .

٧. روي عن كثير من الصحابة الكرام ﷺ انهم كانوا لا يقولون بالقرآن بآرائهم الا ان يكون نقلاً عن رسول اللهﷺ ولو لم يكن فسره جميعاً لرخص لهم الاجتهاد.

٨. روي عن عمر بن الخطابﷺ انه قال :ان اخر ما نزل آية الربا وان رسول اللهﷺ مات ولم يفسرها ، وهذا يدل على ان رسول الله ﷺ كان يفسر جميع القرآن تباعاً ومن غير ان يترك شيء.